



تتبّه ورجاء: هذا حديث من أربع حلقات، أتمنى ممّن قرأ واحدة منها أن يقرأ الحلقات الأخرى حتى لا يخرج بفكرة ناقصة أو يفهم المسألة على غير وجهها، ولو لا أن أطيل لجمعتها كلها في مقالة واحدة.

شاهدت من قريب مقطعاً مصوّراً لندوة أقيمت في بلد عربي وشارك فيها عدد من الإعلاميين، كان موضوعها "المحطات الفضائية الإيرانية الطائفية المحرّضة".

وقد دعا المتحدثون إلى وقف بث تلك القنوات على القمر العربي، وفي لحظة من لحظات الندوة انجرف أحد الإعلاميين المشاركون في موجة من موجات الحماسة، فدعا إلى وقف القنوات السنّية التي تحرض على الطائفية أيضاً، ومثل لها بفضائيات معروفة تركز على الهوية السنّية وتحذر من المؤامرة الشيعية الفارسية على البلدان العربية والإسلامية.

لما سمعت ما سمعت استرجعت وقلت لنفسي:

آهِ منا نحن المسلمين السنّة، كنا مغفلين وسنقى مغفلين؛ لم تعلمنا الأيامُ الماضيات ولا يبدو أنها ستعلمنا الأيامُ الآتىات.
في قصة "أليس في بلاد العجائب" يقول الملك: "يا لهذا العناء الهائل الذي عانتهاليوم، لن أنساه ما حييت".
فتقول الملكة: "بلى، سوف تنساه إذا لم تكتبها".
من أجل ذلك قررت أن أكتب هذه المقالة.

* * *

لقد قرأت التاريخ يا سادة، فما وجدت أمة هي أكثر طيبة وأشد بلاهة منا نحن المسلمين، فإنّا لا نزال نُلدغ من الجر الواحد
منذ قرون وما نزال نمد إليه اليَدَ غافلين.

أما آن لنا أن نفتح أعيننا وأن نحبس اليَدَ فلا نمدّها إلى الجر المسكون؟
إن من أبرك بركات الثورة السورية (وما أكثر بركاتها!) أنها أسقطت المشروع الاستعماري الصفوی الشیعی في العالم
الإسلامي، وهو مشروع خطير خبيث لم يعتمد على المدفع والدبابة، إنما اعتمد على سذاجتنا وطيبة قلوبنا، ففتحنا له القلوب
والعقول بلا عناء.

لقد شاهدتم الثوار في سوريا كيف يحرقون صور الشاطر حسن ويدوسونها بالنعال، أظنون أنهم اشتروها من المطبع
والمكتبات؟

لا يا سادة، إنما نزعوها عن حيّطان بيوتهم حيث كانت هناك منذ ستّ سنين.
هذا المجرم الكبير استطاع أن يتسلل إلى بيوت السوريين وأن يتسلل إلى قلوبهم، فمنهم من علق صورته على جدران البيوت
ومنهم من علقها على جدران القلوب.

ما زلت أذكر حرب تموز في لبنان، يوم كنت وكان أكثر أفراد عائلتي غباءً، قطرات وسط البحر العُباب، قطرات تسبح
عكس تيار النهر الزخار.

ما أكثر ما صدمني الناس وما أكثر ما صادموني في تلك الأيام: "إذن أنت تحب أن تكون الغلبة لليهود؟"
"لا يا أصدقاء، أنا لا أحب أن ينتصر اليهود، ولكنني أحب أن يُهزم حزب الله". "لماذا يا فلسف الزمان؟"

"لأن الشيعة أشد عداءً للسنّة من اليهود.
لأن اليهود عدو ظاهر والشيعة عدو خفي.
لأن معركتنا مع اليهود معركة محسومة وإن طال الزمن،
أما الشيعة فعدوٌ باقٍ إلى آخر الزمن.

ويلهم، أما ترون ما يصنعون بأخوتنا في العراق؟
هل صنع اليهود في فلسطين عشرة معاشر ما يصنعه الشيعة بأهلنا السنّة في العراق؟

أما لكم عيون؟
أما لكم عقول؟
أما لكم قلوب؟

... ما أكثر ما ذهبت تلك الأسئلة مع الريح وبقيت بلا جواب، فلما ثار أهل سوريا الكرام جاء الجواب.

* *

كلما كتبت كلاماً كهذا الكلام أتصور بعين الخيال من يقفز في وجهي من المتحذلقين ليهتف قائلاً: يا لك من طائفي بغرض!
ويل سوريا منك ومن أمثالك!

لا يضرني هؤلاء ولا يضر سوريا أمثالي، إنما يضرها أمثالهم.

وما ضرّ الأمة في مواضيّ أيامها أحدّ أكثر مما ضرّوها، لأن كل واحد من الأمة وافق على ثغرة، فأيّما أحدّ منا أخلّ موقعه
دخل الشرّ من الموقع الذي أخراه.

وأكثر الناس ضرّاً ليس من يخلّي موقعه ملأً وكسلاً، إنما هو من يخلّيه اعتقاداً بأنه لا شرّ يأتي من قبله، فيأتي من قبله أكبر
الشر وأعظمه.

لا يا أيها الغاضبون مني ويا أيتها الغاضبات، أنا لست طائفيًّا ولكنّي امرؤ عاقل؛ وقد قرأت التاريخ؛ وأخشي من المستقبل.
هذه ثلاثة صنعتني وأنجبت هذه المقالة.

الطائفي هو الذي "يثير" الناس وينفع في النار، أما العاقل فهو الذي "ينور" الناس ويحذر أن يقع في نار الآخرين.
ماذا تصنع إذا رأيتَ قوماً حولك يوقدون نيرانهم؟

تغمض عينيك وتخطو حتى تسقط في النار؟

لا يصنع ذلك إلا أحمق، ومن صنعه فلا يكتبه عينٌ ولا رثاه شاعر!

يقول العاقل: أنا أدرك أنك خصم لي يا أيها الطائفي الآخر، وقد قرأتُ أخبار ألف تجربة بيني وبينك فقرأتُ فيها تفاصيل ألف
مكر وألف غدر وألف خيانة، وقد عزّمت على أن أحذر من ذي اليوم مكرك وغدرك وخيانتك، ولكنني لا أمدّ يدي عليك باعتداء ولا
أدعوك إلى فتنة.

أما الأحمق فإنه يغمض عينيه ويضمّ أذنيه ثم يقول: عن أي شيء تتحدثون؟
إني لا أرى شيئاً ولا أسمع شيئاً مما تصفون.

أقول: ومنذ متى كان العمّي بيصررون أو كان الصّم يسمعون؟

* *

افتحوا أعينكم يا أيها المسلمين.

لقد لعب الفرنسيون بسوريا منذ وطئت أرض سوريا نعالُ الفرنسيين، وكانت بعض الأقلية هي الحربة التي اخترقوا بها
استقلال البلاد.

لا تقولوا ذاك عهد مضى؛ إننا ما نزال نعاني من آثاره الكئيبة إلى اليوم.

ثم جاءت أميركا اليوم تتم اللعبة، ومرة أخرى تريد أن تنفع في نار الأقلية وأن ترتفق على ظهورها لاحتلال سوريا من
جديد.

قبل أشهر قليلة نشر أحد الفضلاء في العراق مقالة قيمة، هي نصيحة وجّهها إلى ثوار سوريا الكرام.
الرجل يقول لكم: لا ترتكبوا الخطأ القاتل الذي ارتكبناه في العراق.

لقد ضحينا بهويتنا السنّية في سبيل المشروع الوطني الذي أردنناه لكل العراقيين، فيما كان غيرنا يعمل لخدمة مشروعه
القومي أو لخدمة مشروعه الطائفي، فكانت النتيجة أننا صرنا ضحية المشروع الذي أهرقنا في سُقيا دماءنا ورفعنا بنيانه
بأكواه من جثث أبنائنا.

خرج الأولون بدولة واحتل الآخرون ما بقي من العراق ثم وهبوا لإيران، وبقينا - نحن المسلمين العرب السنّة - بلا حرية ولا

كرامة ولا وطن.

المقالة عنوانها "حتى لا تُسرق الثورة السورية" والكاتب هو المفكر والداعية العراقي المعروف الشيخ طه حامد الدليمي، فابحثوا عنها واقرؤوها، ولكن لا تقرؤوها مرة بل ثلاثة مرات، ولو حفظتم بعض كلماتها غيّباً ورددتموها من بعد صباحاً ومساء فخيراً تصنعون.

* * *

يا أيها المسلمين، يا أهل سوريا الكرام:

جاهدوا لبناء وطن حر كريم، ولكن لا تضيئوا الهوية.

في سوريا أقلية عرقية ودينية وطائفية من حقها أن تدافع عن هوياتها الثقافية واللغوية والدينية، لا يُعاب على أي منها أن تفعل، على أن لا يكون لها مشروع خاص يستقل عن مشروع الوطن، فسوريا لكل من تلك الأقليات وسوريا لها جميعاً مع الأكثريّة العربيّة المسلمة.

وإذا كان ذلك حقاً للأقليات فإنه حق للأكثريّة من باب أولى؛ من حق الأكثريّة العربيّة السنّيّة أن تحافظ على هويتها الثقافية واللغوية والدينية، ولكنها لن ترفعها هوية مفرقة بل هوية جامعة، فالوطن الواحد يتسع للجميع.

(والحديث بقية فاقرؤوها)

الزلزال السوري

المصادر: